

البداية والنهاية

ورفده وقد ذكرنا ما اعتمده في أول ولايته من إطلاق الأموال الديوانية ورد المطالم وإسقاط المكوس وتخفيف الخراج عن الناس وأداء الديون عمن عجز من أدائها والاحسان إلى العلماء والفقراء وتولية ذوي الديانة والأمانة وقد كان كتب كتابا لولاة الرعية فيه بسم الرحمن الرحيم اعلموا أنه ليس إمهالنا إهمالا ولا أعضاءنا احتمالا ولكن لنبولكم أيكم احسن عملا وقد غفرنا لكم ما سلف من إخراج البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة وإطهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدر كالأغراض انتهزتم فرصها مختلسة من برائث ليث باسل وأنياب اسد مهيب تنفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد وأنتم أمناؤه وثقاته فتميلون رأيه إلى هواكم وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وأنتم له عاصون ويوافقكم وأنتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا وبفقركم غنى وبباطلكم حقا ورزقكم سلطانا يقلل العثرة ولا يؤاخذ إلا من أصر ولا ينتقم إلا ممن استمر يأمركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فإن سلكتم مسالك خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه وإلا هلكتم والسلام ووجد في داره رقاع مختومة لم يفتحها ستر للناس ودرءا عن أعراضهم C وقد خلف من الأولاد عشرة ذكورا وإناثا منهم ابنه الأكبر الذي بويع له بالخلافة من بعده ابو جعفر المنصور ولقب بالمستنصر بالله وغسله الشيخ محمد الخياط الواعظ ودفن في دار الخلافة ثم نقل إلى التربة من الرصافة .

خلافة المستنصر بالله العباسي .

أمير المؤمنين أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر احمد بويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم جمعة ثالث عشر رجب من هذه السنة سنة ثلاث وعشرين وستمائة استدعوا به من التاج فبايعه الخاصة والعامة من أهل العقد والحل وكان يوما مشهودا وكان عمره يومئذ خمسا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وأحد عشر يوما وكان من أحسن الناس شكلا وأبهاهم منظرا وهو كما قال القائل ... كان الثريا علقت في جبينه ... وفي خده الشعري وفي وجهه القمر

وفي نسبه الشريف خمسة عشر خليفة منهم خمسة من آبائه ولوا نسقا 2 وتلقى هو الخلافة عنهم وراثته كابر عن كابر وهذا شيء لم يتفق لأحد من الخلفاء قبله وسار في الناس كسيرة أبيه الظاهر في الجود وحسن السيرة والاحسان إلى الرعية وبنى المدرسة الكبيرة المستنصرية التي لم تبن مدرسة في الدنيا مثلها وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله واستمر أرباب الولايات الذين كانوا في عهد أبيه على ما كانوا عليه ولما كان يوم الجمعة المقبلة خطب

للامام المستنصر باء على المنابر ونثر الذهب والفضة عند ذكر اسمه وكان يوما مشهودا
وأنشد الشعراء المدائح والمراثي واطلقت لهم